إقبال والآخر في ضوء شعره الأردي

دكتور/ إبراهيم محمد إبراهيم السيد[1]

١: ٨ «محمد إقبال»: سيرة حياة

«محمد إقبال» المفكر والفيلسوف الإسلامي الكبير، وشاعر باكستان القومي، وصاحب فكرة إنشائها، وأشهر شعراء الأردية، ولد يوم الجمعة الثالث من ذي القعدة عام ١٢٩٤هـ، الموافق التاسع من نوفمبر عام ١٨٧٣ في مدينة سيالكوت الباكستانية التي هاجر إليها أجداده من كشمير في عهد السلطان المغولي أورنگزيب عالمگير[2]، بعد أن أسلم الجد الأعلى في ذلك الوقت وكان من البراهمة.

حصل «محمد إقبال» تعليمه الابتدائي على ما هو رائج في عصره من حفظ القرآن الكريم ودراسة اللغة العربية واللغة الفارسية، فدرسهما على يد الشيخ مير حسن، ثم التحق بمدرسة البعثة الأسكوتية[3] بسيالكوت، وحصل منها على الثانوية عام ١٨٩٣، وكان في السادسة عشرة من عمره، وفي عام ١٨٩٥ حصل على الشهادة المتوسطة «ايف اے: F.A». ثم سافر إلى لاهور لاستكمال تعليمه، والتحق بالكلية الحكومية «G.C»، وحصل منها على الليسانس عام ١٨٩٨، ثم حصل على ماجستير الفلسفة من الكلية نفسها عام ١٨٩٩.

عُيِّنَ «محمد إقبال» في ١٣ مايو ١٨٩٩ محاضراً للغة العربية في كلية الدراسات الشرقية بجامعة البنجاب، وظل يعمل بها لأربع سنوات، تخللتها ستة أشهر عمل فيها محاضراً للغة الإنجليزية انتداباً بالكلية الحكومية، إلى أن عين بالكلية الحكومية محاضرًا للغة الإنجليزية بداية من عام ١٩٠٣، ثم انتقل بعدها إلى قسم الفلسفة بالكلية.

ظل «محمد إقبال» يعمل بالكلية الحكومية إلى أن سافر إلى إنجلترا في ديسمبر من عام ١٩٠٥ بغرض الحصول على الدراسات العليا، والتحق بكلية «ترنتي» بجامعة كمبريدج باحثًا، ثم سجل نفسه لدرجة الدكتوراه في جامعة ميونخ بألمانيا، وبعد أن حصل على درجة الليسانس من «ترنتي كالج» بجامعة كيمبردج، سافر في يوليو عام ١٩٠٧ إلى مدينة هيدلبرج بألمانيا لأداء امتحان

---

(١) أستاذ ورئيس قسم اللغة الأردية، كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، فرع البنات.

(٢) آخر السلاطين المغول الأقوياء في الهند «محيي الدين محمد اورنكزيب عالمكير»، تولى عرش البلاد عام ١٠٦٨هـ/١٦٥٨م، وبوفاته عام ١١١٧هـ/١٧٠٧م بدأ مؤشر الدولة المغولية في الانحدار، فلم تكد تمضي مائة وخمسون عامًا حتى سقطت الدولة المغولية ومعها الحكم الإسلامي في شبه القارة الهندية على أيدي الإنجليز عام ١٢٧٣هـ/١٨٥٧م

(٣) Scotch Mission School. (سكاچ مشن سكول).

الدكتوراه في جامعة ميونخ، وبالفعل حصل على الدكتوراه من هذه الجامعة في نوفمبر من عام ١٩٠٧، وكانت رسالته بعنوان «تطور ما وراء الطبيعة في إيران»[١]، ثم عاد «محمد إقبال» إلى لندن حيث اجتاز امتحان المحاماة من كلية «لنكنز إن» في يوليو من عام ١٩٠٨، وعاد بعدها إلى وطنه في يوليو من العام نفسه.

عمل «محمد إقبال» بعد عودته إلى وطنه بالمحاماة لفترة، ثم وقف حياته على فكرة بعث مسلمي شبه القارة الهندية، وبث روح الإسلام فيهم من جديد، وبذل جهداً كبيراً في صياغة الفلسفة التي تساعده على تحقيق هذا الهدف السامي، ودخل مجال السياسة ضمن «حزب الرابطة الإسلامية لعموم الهند»[٢]، وفي التاسع والعشرين من ديسمبر عام ١٩٣٠ ترأس إقبال المؤتمر السنوي لهذا الحزب، وألقى خطبته الشهيرة التي رسم فيها خطة تأسيس وطن مستقل للمسلمين في شبه القارة الهندية من المناطق التي تضم الأغلبية المسلمة، وهو الاقتراح الذي تبناه «حزب الرابطة الإسلامية» بقيادة الزعيم المؤسس «محمد علي جناح»، وظل يناضل من أجل تحقيقه على أرض الواقع، إلى أن تم له ذلك في الرابع عشر من أغسطس عام ١٩٤٧ بقيام دولة «باكستان» بعد وفاة «محمد إقبال» بأكثر من تسع سنوات.

وفي الشهور الأولى من عام ١٩٣٨ تدهورت صحة محمد إقبال، ولم تستجب حالته للعلاج، فتخلى عن القراءة والكتابة، وتركز تفكيره في كيفية تحقيق أمنيته في أن يحج بيت الله ويزور قبر المصطفى ﷺ، ولكنه انتقل إلى رحمة الله تعالى قبل أن تتحقق هذه الأمنية، وكان ذلك فجر الحادي والعشرين من أبريل عام ١٩٣٨م[٣].

(١) طبعت رسالة الدكتوراه هذه للمرة الأولى في لندن عام ١٩٠٨.

(٢) أنشئ هذا الحزب عام ١٩٠٦.

(٣) لمزيد من التفصيل عن حياة العلامة محمد إقبال يمكن الرجوع إلى كتاب إقبال، حياته وسيرته، عبد الوهاب عزام، القاهرة ١٩٦٢، خرم على شفيق، اقبال، ابتدائى دور ١٩٠٤ تك، اقبال اكادمى پاكستان، ط١ ٢٠٠٨، جاويد اقبال، زنده رود، سنگ ميل پبلى كيشنز لاهور، ط٢ ٢٠٠٨م، والترجمة العربية للكتاب وقام بها ظهور أحمد أظهر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٥.

٢: ٨ آثار محمد إقبال الشعرية[١]:

كتب «إقبال» حوالي تسعة آلاف بيت من الشعر، منها ستة آلاف بيت تقريباً باللغة الفارسية ضمتها أعماله الشعرية الآتية:

١ـ **اسرارِ خودى: أسرار الذاتية**، ونشر في أواسط عام ١٩١٥. وترجمه إلى الإنجليزية الدكتور نيكلسون ونشره عام ١٩٢٠ في لندن.

٢ـ **رموزِ بيخودى: رموز إنكار الذات**، واكتمل في أواخر عام ١٩١٧. وفي هذين المثنويين اتضحت فلسفة الذات لمحمد إقبال وتشكلت بصفة كاملة.

٣ـ **پيامِ مشرق: رسالة الشرق**، وطبع في مايو ١٩٢٣. وكان المحرك الرئيس لأشعار هذا الديوان هو الديوان الغربي للشاعر الألماني جوته.

٤ـ **زبور عجم: زبور العجم**، ونشر عام ١٩٢٧.

٥ـ **جاويد نامه: رسالة الخلود**، ونشر في فبراير من عام ١٩٣٢.

٦ـ **مثنوي «پس چه بايد كرد اے اقوام شرق: والآن ماذا ينبغي أن نفعل يا أمم الشرق»**، ونشر في نوفمبر من عام ١٩٣٦، ومعه مثنوي «مسافر» أيضًا.

ومن بين أعمال «محمد إقبال» الفارسية يتميز «جاويد نامه» من الناحية الفكرية، بينما يتميز «زبور عجم» من الناحية الجمالية، أما «پيام مشرق» فيعتبر القمة في الناحية الفكرية والجمالية معاً.

وأبدع «محمد إقبال» ثلاثة آلاف بيت تقريباً باللغة الأردية شملتها دواوينه التالية، وهي التي اعتمدنا عليها في دراستنا هذه:

١ـ **بانگِ درا: صلصلة الجرس**، ونشر عام ١٩٢٤.

٢ـ **بالِ جبريل: جناح جبريل**، ونشر عام ١٩٣٥، ويعد هذ الديوان قمة الفكر الشعري لـ «محمد إقبال».

---

(١) لمحمد إقبال مؤلفات نثرية بالأردية والإنجليزية منها: علم الاقتصاد بالأردية (كتبه في الفترة التي عمل فيها في كلية الدراسات الشرقية)، وتطور الغيبيات في بلاد فارس بالإنجليزية (وهي رسالته للدكتوراه)، وتشكيل الفكر الديني في الإسلام بالإنجليزية أيضاً (وهو عبارة عن ستة خطب ألقاها في جنوب الهند وعليكره، ونشر عام ١٩٣٠، أما الآن فالكتاب به سبع خطب، الستة السابقة، وخطبة أخرى كتبت عام ١٩٣٢ وقرأت في إنجلترا) وغيرها، ولم نتطرق إلى هذه المؤلفات في متن البحث تفصيلاً، نظراً لأننا هنا ندرس شعره الأردي تحديداً.

٣ـ **ضرب الكليم: ضربة الكليم**، ونشر في يوليو من عام ١٩٣٦، وقد أطلق «محمد إقبال» على هذا الديوان اسم «إعلان الحرب على العصر الحاضر»، ويعد هذا الديوان قمة الشعر الفكري له.

٤ـ **ارمغانِ حجاز: هدية الحجاز**، وهو باللغتين الفارسية والأردية، ونشر في نوفمبر من عام ١٩٣٨م، أي بعد وفاة «محمد إقبال» بحوالي ستة أشهر[١].

٣: ٨ ترجمة أشعار «محمد إقبال» إلى اللغة العربية:

لا شك أن «محمد إقبال» كان شخصية فذة، وشاعرًا مبدعًا ومفكرًا خلاقًا، ولذا استحق أن تلتفت إليه أنظار العالم شرقًا وغربًا محاولين معرفته، والوصول إلى أعماق فكره، فترجموا أعماله وإبداعاته إلى اللغات المختلفة، ومن الأسباب التي دفعت إلى ترجمة أعمال «محمد إقبال» ما يلي:

١ – عبقرية شعر «محمد إقبال» وفكره.

٢ – كتب «محمد إقبال» بلغتين كبيرتين هما: اللغة الفارسية التي كانت تعد في تلك الفترة اللغة الثانية للحضارة الإسلامية بعد اللغة العربية، واللغة الأردية التي يفهمها ويتحدث بها قطاع عريض من أهل شبه القارة الهندو باكستانية، وهو قطاع لا يستهان به من حيث عدد السكان، وإمكانية تأثيرهم في الحضارة الإنسانية، هذا بالإضافة إلى ما كتبه «محمد إقبال» باللغة الإنجليزية.

٣ – السبب الثالث والأكثر أهمية ـ في رأينا ـ وراء ترجمة أعمال «محمد إقبال» فهو أنه لم يقصر فكره ونظرياته على معالجة أوضاع المسلمين فقط، وإنما تعرض إلى مشاكل الإنسان بعامة، ولذا فقد اتسم شعره بالعالمية، ولم يغفل ما يدور من أحداث في زمانه، فأبدى ما رآه منها حقًا، وأعرض عما اعتقد ببطلانه، إذ كان هدفه الأسمى يتركز في حلمه بعالم تسوده المحبة والإخاء، وتتحطم فيه حواجز الدم واللون والجنس، وتندثر معه أحقاد الطبقات التي لا تقوم إلا على مشاعر البغض والتناحر والاستبداد، ومن هنا تحدث عن «عصبة الأمم»، وناقش قضايا الاشتراكية، وأفسح المجال في شعره لصراع الحبشة من أجل التحرير، وثورات الشام وهي تناوئ الاستعمار، وتمرد الهند وهي تدافع الغزاة، والتحذير من اليهود وهم يحيكون الألاعيب والمؤمرات، وغير ذلك من الأحداث الجسام التي كانت تلقي بظلالها على بني الإنسان جميعًا.

(١) لمزيد من التفصيل راجع أمجد حسن سيد أحمد وآخر، شاعر الشرق محمد إقبال، مطبوعات سفارة باكستان، القاهرة ١٩٩٧، ص١٤.

تُرْجِمَتْ أعمالُ «محمد إقبال» إلى لغات كثيرة من بينها اللغة العربية، ويأتي اسم الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام[1] رحمه الله تعالى على رأس قائمة الشرف لأولئك الذين ترجموا أشعار «محمد إقبال» الفارسية والأردية إلى العربية شعرًا ، فقد ترجم من شعره الفارسي ديوان «الأسرار والرموز»، «بيامِ مشرق: رسالة المشرق» ثم ترجم له ديوانه الأردي «ضرب الكلم» الذي طبع ونشر لأول مرة في القاهرة عام ١٩٥٢م.

ثم تتوالى الأسماء في قائمة الشرف، فيأتي اسم المرحوم الشيخ الصاوي علي شعلان، الذي قدم أروع الترجمات المنظومة لأشعار «محمد إقبال» سواء من الأردية أو الفارسية، ورغم أن الشيخ لم يكن يعرف الأردية، ولكن الشيخ محمد حسن الأعظمي والذي كان وسيطاً في الترجمة، تكامل معه في الفهم الدقيق لأشعار «محمد إقبال» وفلسفته والتفاعل معها. ولفتت الترجمة أنظار المثقفين إليها، وقامت سيدة الغناء العربي «أم كلثوم» بغناء مختارات من ترجمته النصيدتي «شكوى» و«جواب شكوى» تحت عنوان «حديث الروح»، فلاقت رواجًا لا مثيل له، ولا تزال هذه الأغنية تلقى الإعجاب في العالم العربي إلى يومنا هذا، رغم أنها عبارة عن بعض الأبيات التي لا تتعدى عشرين بيتًا، ليست بالتأكيد هي أفضل ما ترجم الشيخ الصاوي علي شعلان الذي توفي عام ١٩٨٢م[2].

ثم يأتي اسم الأستاذ الدكتور حسين مجيب المصري، أحد رواد الدراسات الشرقية في مصر، فقد كان صاحب علم وفضل في اللغات الشرقية، وخاصة اللغة التركية واللغة الفارسية، كما أنه كان على معرفة باللغة الأردية، وله العديد من المؤلفات والدواوين، وكان شاعرًا مجيدًا صاحب أسلوب متميز.

ترجم الدكتور حسين مجيب المصري لـ «محمد إقبال» من الفارسية مثنوي «جاويد نامه: رسالة الخلود» إلى العربية شعرًا تحت عنوان «في السماء»، ونشر لأول مرة في القاهرة عام ١٩٧٣، وترجم كذلك القسم الفارسي من ديوان «ارمغان حجاز» تحت عنوان «هدية الحجاز»، ونشر بالقاهرة عام

(١) علم من أعلام الدراسات الشرقية في مصر. ولد عام ١٨٩٤ في «الشوبك» إحدى قرى مدينة الجيزة، حصل على الشهادة العليا من مدرسة القضاء الشرعي عام ١٩٢٠، وعلى درجة الليسانس في الآداب والفلسفة من الجامعة المصرية عام ١٩٢٣، واختير مستشارًا دينيًا للسفارة المصرية في لندن، وهناك درس اللغات الشرقية، وحصل على درجة الماجستير فيها عام ١٩٢٧، ثم عاد إلى مصر وعمل ضمن هيئة التدريس بجامعة القاهرة إلى أن صار عميدًا لكلية الآداب ورئيسًا لقسم اللغات الشرقية بها عام ١٩٤٦، كما عمل سيادته سفيرًا لمصر في باكستان عام ١٩٥٠، وسفيرًا لمصر بالمملكة العربية السعودية، حيث أسس جامعة الرياض، وظل يعمل مديرًا لها من عام ١٩٥٧ حتى وافته المنية في الثامن عشر من يناير عام ١٩٥٩. لمزيد من التفصيل راجع: د. أمجد حسن سيد أحمد، د. إبراهيم محمد إبراهيم، شاعر الشرق محمد إقبال، القاهرة، مصر ١٩٩٧، ص ١٢.

(٢) المرجع السابق، ص٥١، الصاوي علي شعلان، إيوان إقبال، القاهرة ١٩٧٧، ص د.

١٩٧٥، كما ترجم لـ «محمد إقبال» من اللغة الأردية إلى العربية شعراً عدة منظومات وقصائد نشرت ضمن كتاب «الأندلس بين شوقي وإقبال»، والذي صدرت الطبعة الأولى منه في القاهرة عام ١٩٩٤، ثم قام الدكتور حسين مجيب المصري بترجمة عربية منظومة لأعمال الأردية الكاملة لـ «محمد إقبال»، وقد توفي الأستاذ الدكتور حسين مجيب المصري عام ٢٠٠٤م.

ثم يأتي اسم الشاعر اليمني الكبير محمد محمود الزبيري الذي ولد عام ١٩١٩م في اليمن، ودرس بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة، وعاد إلى اليمن قبل أن يكمل دراسته، وتولى وزارة المعارف باليمن عام ١٩٤٨م، التي استولى عليها الثوار بعد عدة شهور، فخرج الزبيري من اليمن على ظهر باخرة إلى الهند، ومنها إلى باكستان، حيث ظل بها خمس سنوات، ثم جاء إلى مصر عام ١٩٥٦م، وظل بها حتى قيام الثورة اليمنية في السادس والعشرين من سبتمبر عام ١٩٦٢م، وتولى منصب نائب رئيس الوزراء إلى أن اغتيل في ٣١ مارس عام ١٩٦٥م.

ترجم الزبيري للعلامة محمد إقبال عن الأردية عدة منظومات إلى العربية شعرًا منها: العشق - وراء الأقنعة - أمنية إقبال - غزو الأعماق - الفجر الثاني - امتداد الشعب العربي - دعاء - الطائر اللاهوتي - شحاذ - بيت منفرد - الأمر الإلهي للملائكة - الإنسان يغزو الكون - مناقشة إقبال لربه - ابن الصقر - الحياة حرب - الفقر الحيدري - السمو بالإنسان - أسير الحضارة - مسجد قرطبة - عتاب إلى الرب - السهم الحائر - إلى الشباب المسلم.

وهناك غير هؤلاء الأستاذ الدكتور محمد السعيد جمال الدين والأستاذ الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم، والدكتورة فوزية الصباح، والأستاذ زهير ظاظا، والأستاذ عبد المعين الملوحي من سوريا الشقيقة وغيرهم من الذين ترجموا من أعمال العلامة محمد إقبال، إلى العربية شعراً ونثراً.

٤: ٨ من هو الآخر

الآخر عكس «الأنا»، أو كما قيل: كل من هو غير «الأنا»، والمصطلح بهذا الشكل غير محدد المعالم بشكل قاطع، بمعنى: هل الأخروية والمغايرة هنا في الدين والثقافة واللغة، أم في الجغرافيا، أم في التقدم والتخلف، أم في الجنس والعرق، أم فيها كلها معًا، ولو رجعنا إلى أصل كلمة الآخر في اللغة العربية لوجدنا لسان العرب يقول عنه إنه «اسم على أفعل والأنثى أخرى، إلا أن فيه معنى الصفة، لأن أفعل من كذا لا يكون إلا في الصفة، وتصغير آخر: أُوَيْخِرْ، وقوله تعالى ﴿فَآخَرَانِ

يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾[المائدة: ١٠٧]، فسره الفرّاء فقال: معناه آخران، من غير دينكم من النصارى واليهود، والجمع بالواو والنون، وأخريات وأُخَر»(١).

فالآخر من حيث التعريف الفلسفي ربما يعني كل من هو غير «الأنا»، ولكن من الناحية الحضارية قد يكون مرادفاً للغرب بالنسبة للشرق والعكس صحيح. والآخر يأتي بمعنى «صفة كل ما هو غير أنا، وفكرة الآخر بمعنى غير الأنا تعني الإقرار خارج الذات العارفة، أي كينونات موضوعية»(٢).

وبالنسبة لمفهوم «الأنا» و«الآخر» في الفكر العربي فمتسع وغامض الدلالة أيضاً، فالأنا قد تعني «بلاد (الشرق) أو (الإسلام) أو (العروبة) أو (بلدان العالم الثالث) أو (النامي) أو (المتخلف) .. إلى آخر هذه التسميات الواردة ما بين قوسين»(٣).

وإذا اختزلنا دائرة الأنا فإننا نجدها تصب في الاستخدام الشائع وهو «الشرق» في مقابل مصطلح «الغرب»، فالآخر «اعتبر الشرق مفهوماً يمثل نقيض الغرب، وليس له حدود، بل يجوز أن يعني كل العالم الذي لا يدخل في دائرة الغرب، وداخل امتداده المباشر ... لكنه اقتصر على الشرق الأكثر قرباً الذي كان ولا يزال الغرب يحتك به، وهذا الشرق يضم العالم العربي وإيران وتركيا»(٤).

وكان مدلول مصطلح الشرق يشمل سوريا ومصر وبلاد الرافدين، واتسع ليشمل بالإضافة إلى ما سبق الجزيرة العربية وفارس وتركيا، ثم امتد في مراحل لاحقة ليشمل الهند والصين واليابان وما إليها من بلدان آسيا، «فلقد جعل الآخر لدى الغرب يأتي في مقابل الإسلام»(٥).

وبالتالي فالمصطلح كما نرى يضيق ويتسع حسب من يطلقه، والسبب الذي من أجله يطلقه، والأرجح ـ عندي ـ أنه كل من هو غير «الأنا» في الدين والثقافة واللغة والجغرافيا والجنس والعرق والتقدم والتخلف، ولكن بشرط أن لا يكون المقصود هو مخالفة هذا الآخر، فإذا كان المقصود مخالفته فقد يدخل فيه المذهب والفرقة حتى في الدين الواحد. والذي نميل إليه في التعامل مع الآخر

(١) ابن منظور، لسان العرب، ص٦٥، مادة (أخر).
(٢) عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ص١٣، (مادة آخر).
(٣) حنان معزي، حوار الأنا والآخر في رواية «كتاب مسالك أبواب الحديد» لـ: واسيني الأعرج، رسالة ماجستير ٢٠٠٩/٢٠١٠، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر، ص١٩.
(٤) محمد نور الدين أفاية، المتخيل والمتواصل (مفارقات العرب والغرب)، دار المنتخب العربي، لبنان، ط ١٩٩٣م، ص٩٥، ٩٦.
(٥) محمد عابد الجابري، الغرب والإسلام، مجلة العربي، عدد ٥٠٣، الكويت، أكتوبر ٢٠٠، ص٨، ٩.

هو ما ذكره محمد راتب الحلاق في كتابه «نحن والآخر» بقوله «الموقف الصحي والصحيح»، هو موقف التفاعل من موقع التميّز والاختلاف والاستقلال، لا من موقع الالتحاق والتماهي. وفي هذا التفاعل يجب أن يتم التمييز بين ما هو مشترك وعام «إنساني»، وبين الخصوصيات الثقافية والحضارية[1].

٥، ٨ الآخر عند «محمد إقبال»

إن الدراسة الشاملة لفكر «محمد إقبال» من خلال إبداعاته الشعرية باللغتين الفارسية والأردية، وإبداعاته النثرية باللغتين الأردية والإنجليزية، تؤكد أن «محمد إقبال» لم يعتمد في فكره هذا التمييز بين «الأنا» و«الآخر» بالشكل الذي ذكرنا أعلاه، فكل أعماله بمفرداتها المختلفة تؤكد أنه كان ينظر إلى البشر جميعاً في مستوى واحد من طبقتين؛ أي المستوى الإنساني من حيث الإنسانية، والمستوى الموازي له وهو المستوى الإنساني أيضًا لكن في صورته الإسلامية، وينطلق في نظرته على أساس من القرآن الكريم والسنة النبوية، حيث يقول الله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٧٠]، وقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣]، وغيرهما من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي ترفع من قدر الإنسان باعتباره إنساناً أولاً.

والدارس لحياة العلامة «محمد إقبال» وأشعاره يرى أن أبرز ما فيها هو الجانب الإنساني، فقد كان «إقبال» رقيق القلب مرهف الحس، تُبْكِيهِ آلام الآخرين وتؤثر فيه أحزانهم، وفي نفس الوقت يتأثر بكل من يبرز فيه هذا الجانب الإنساني، ويكرِّس جهده لخدمة بني الإنسان، ولم يقتصر هذا التأثر عند «محمد إقبال» على من هم من بني جلدته، أو أبناء دينه وثقافته، وإنما تعداه إلى الإنسان بشكل عام، أيًّا كان انتماؤه الديني أو العقدي، ولهذا كان الجانب الإنساني في أشعار «إقبال» عاملاً من العوامل الهامة التي كتبت لها القبول بين من طالعوها، حتى وإن اختلفوا معه في الدين واللغة والثقافة، إذ أن الذي يميز شعر «إقبال» في الحقيقة هو احترامه الإنسان وتكريمه، وحثه على البعد عن الصراعات الممقوتة، والتي تنبع عن الإحساس الزائف بالتفوق الجنس على الآخر، ولهذا فإنه على الرغم من أن نسبة كبيرة من أشعار إقبال تناولت المسلمين بشكل خاص، إلا أن هناك نسبة أخرى من هذا الشعر أيضاً تناولت غير المسلمين من الشرق والغرب، ممن برز فيهم جانب من

(١) محمد راتب الحلاق، نحن والآخر، من منشورات اتحاد الكتاب العرب ١٩٩٧، ص ٦.

الجوانب الإنسانية الطيبة، وكان لهم تأثير واضح في أنشطة الحياة المختلفة، بل إن «محمد إقبال» نفسه تأثر من بعض هؤلاء تأثرًا عظيمًا، ولعب بعضهم دورًا محوريا في حياته، بحيث حدد معالم مستقبله، ووجهه الوجهة التي هو عليها، وهذا راجع إلى خلو شخصية «محمد إقبال» من التعصب وضيق الأفق، وإلى سعة الفكر لديه، حيث كان ينشد بناء الإنسان الحق، حتى المسلم نفسه ـ في نظر إقبال ـ إذا لم يتصف بصفة الإنسان الحق، يلفت «محمد إقبال» نظره، ويذكره بأن الإسلام دين الإنسانية، وأن المسلم إذا لم يتصف بالصفات الإنسانية الراقية، فإن هذا يعني أن هناك نقصًا في إسلامه، وأنه لم يعرف الإسلام معرفة صحيحة.

ولهذا فإن الآخر في فكر «محمد إقبال» يختلف بعض الشيء، فـ«أنا» و«الآخر» عنده غير مرتبط بشرق أو بغرب، وإنما «الأنا» في نظره هو ما أطلق عليه في شعره «مرد مومن: الرجل المؤمن» أو «مردِ خدا: رجل الله»، و«الآخر» هو ما عدا ذلك، حتى وإن كان من بني الجلدة والملة ممن حاد عن الطريق والجادة، وهذا هو الآخر الذي يهاجمه «محمد إقبال»، أما الآخر الحضاري ـ يعني من هو من غير دينه وثقافته ـ فيعمل على دراسته والاستفادة منه والاعتبار مما هو فيه أيضاً، إذ أن جهده كان منصبًا على الإصلاح والتجديد، وهو في ذلك يُعَدُّ امتدادًا للجهود التي بدأها من قبله الشيخ أحمد السرهندي والشيخ شاه ولي الله الدهلوي، واللذين تأثر بهما «محمد إقبال» كثيراً، وكانا له بمثابة المرشد على طريق الإصلاح والتجديد في فكر الأمة المسلمة، ودفعها نحو الأخذ بأسباب التطور المادي والروحي على السواء، من خلال التركيز على تربية المسلم وتزويده بالعلم والمعرفة وتزكية القلب وتهذيب النفس. هذا من جانب، ومن جانب آخر إصلاح بني الإنسان عمومًا، والعمل على تخليصهم من التعصب وضيق الأفق، وعدم إهمال الجانب الروحي في مسيرة الإنسانية.

٦، ٨ المرحلة الأولى:

تواجه «محمد إقبال» مع الآخر منذ شب عن الطوق وحتى توفاه الله إليه، والآخر الذي نقصده هنا متمثل في المحتل البريطاني الذي جثم على صدر شبه القارة الهندو باكستانية بشكل مباشر من منتصف القرن التاسع عشر وحتى قيام باكستان عام ١٩٤٧، وكان من بين هذا الآخر أساتذة له تعلم على أيديهم وتأثر بعلمهم، بل وكان لهم دور بارز في مسيرة حياته، وعلى رأس هؤلاء أستاذه البروفيسير «توماس آرنولد»[1] الذي كان يدرّسه الفلسفة خلال دراسته في الكلية الحكومية في

(١) كان السير توماس أرنولد أستاذاً للفلسفة في كلية علي گڑھ، ثم انتقل إلى الكلية الحكومية بلاهور، وعاد إلى بلده عام ١٩٠٤، وتوفي عام ١٩٣٠، ومن أشهر مؤلفاته كتاب: تبليغ الإسلام.

«لاهور»، وهو الرجل الذي تعلق به «محمد إقبال» لدرجة جعلته يعمى حثيثاً في السفر إلى أوروبا «إنجلترا» وراء أستاذه الذي كان قد بلغ سن التقاعد وعاد إلى وطنه عام ١٩٠٤، فكتب «محمد إقبال» منظومة شوقًا إليه بعنوان «نالـهء فـراق (آرنلـڈ کی یاد مـیں): أنه الفراق (في ذكرى آرنولد)»[1] يقول فيها:

* أيها البيت، استقر المقام بساكنك أخيراً في الغرب، آه، لم تعجبه أرض الشرق.

* اليوم تيقن قلبي من حقيقة أن ضياء نهار الفراق ليست أقل من ظلام الليل.

* منذ أن تحيرت عيني حرقة الحيرة من حضن وداع المحبوب، ناهت هذه الحرقة في عيوني مثل الشمع المنطفئة.

* أنا قتيل الوحدة، أضطرب من الزحام، أخرج في ثورة الجنون من المدينة إلى الصحراء.

* أتعب القلب بذكرى أيام الأسلاف، ثم آتيك مهرولاً لأنال السكينة.

* ورغم أن جدرانك وأبوابك مألوفة لي، لكن الغربة تبدو من طريقتي وأسلوبي.

* كادت ذرة قلبي تتعرف إلى الشمس، وكادت هذه المرآة المحطمة تعكس العالم بداخلها.

* وكاد نخيل آمالي يخضرّ ويينع، من كان يدري أني كنت على وشك أن، أصبح شيئًا عظيمًا.

---

(١) كتب إقبال هذه المنظومة عام ١٩٠٤، ونشرت وقتها في عدد مايو من مجلة مخزن، وقد وصف إقبال السير توماس أرنولد في منظومته هذه بأنه كليم قمة سيناء العلم. يقول:

جا بسا مغرب میں آخر اے مکاں تیرا مکیں ** آہ! مشرق کی پسند آئی نہ اس کو سر زمیں
آ گیا آج اس صداقت کا مرے دل کو یقیں ** ظلمت شب سے ضیا ہے روز فرقت کم نہیں
«تا ز آغوش وداعش داغ حیرت چیدہ است ** ہمچو شمع کشتہ در بزم نگہ خوابیدہ است»
کشتۂ عزلت ہوں، آبادی میں گھبراتا ہوں میں ** شہر سے سودا کی شدت میں نکل جاتا ہوں میں
یاد ایام سلف سے دل کو تڑپاتا ہوں میں ** بہر تسکیں تیری جانب دوڑتا آتا ہوں میں
آنکھ گو مانوس ہے تیرے در و دیوار سے ** اجنبیت ہے مگر پیدا تری رفتار سے
ذرہ میرے دل کا خورشید آشنا ہونے کو تھا ** آئنہ ٹوٹا ہوا عالم نما ہونے کو تھا
نخل میری آرزوؤں کا ہرا ہونے کو تھا ** آہ! کیا جانے کوئی میں کیا سے کیا ہونے کو تھا
ابر رحمت دامن از گلزار من برچید و رفت ** اندکے بر غنچہ ہائے آرزو بارید و رفت
تو کہاں ہے اے کلیم ذروۂ سینائے علم ** تھی تری موج نفس بادِ نشاط افزائے علم
اب کہاں وہ شوق رہ پیمائی صحرائے علم ** تیرے دم سے تھا ہمارے سر میں بھی سودائے علم
«شور لیلی کو کہ باز آرایش سودا کند ** خاک مجنوں را غبار خاطر صحرا کند»
کھول دے گا دشت وحشت عقدۂ تقدیر کو ** توڑ کر پہنچوں گا میں پنجاب کی زنجیر کو
دیکھتا ہے دیدۂ حیراں تری تصویر کو ** کیا تسلی ہو مگر گریدۂ تقریر کو
«تاب گویائی نہیں رکھتا دہن تصویر کا ** خامشی کہتے ہیں جس کو، ہے سخن تصویر کا»

انظر: كليات إقبال أردو، بانگ درا، لاهور، باكستان ١٩٨٨ – ص١٠٤.

* لكن سحب الرحمة سحبت أذيالها من حديقتي ورحلت، أمطرت بـ إعم قلبي قليلاً ثم رحلت.

* أين أنت يا كليم قمة طور العلم، كانت أمواج أنفاسك تزيد فرحة لعلم .

* أين ذلك الشوق الآن للهيام في صحراء العلم، جنون العلم في رؤو سنا كان بفضلك أنت.

* أين ليلى وجمالها لتخلق الجنون بها، لنجعل تراب المجنون غبار قلب الصحراء.

* ستحل صحراء الجنون عقدة قدري، وسأحطم وثاق البنجاب وأص ل إليك.

* ينظر البصر الحائر إلى صورتك، ولكن كيف يطمئن القلب العاشق للقدر بالصورة.

* فم الصورة لا يملك النطق، لكنه حديث الصورة ذلك الذي نسميـ صمتا.

لقد كانت رحلة إقبال إلى أوروبا عام ١٩٠٥ هي تجربته الأولى مع السفر خارج بلاده، ولم تتح له قبل ذلك الوقت رؤية مجتمع آخر أكثر أو أقل تقدّماً، وإنما كان كل ما رآه هو نماذج من مجتمع متقدم «الإنجليز» يعيشون في بلاده ويحكمونها، فلم يكن هذا التناقض في المستوى المعيشيّ والفكريّ وغيره بين هؤلاء النماذج «الحكام الإنجليز»، وأهل شبه القارة «المحكومين» ليثير خيال إقبال ويجبره على التفكير في هذا الفارق الضخم بين الحكام الإنجليز والمحكومين الهنود، فهو على أية حال فارق لا نعدمه أبداً حتى ولو كان الحكام من أهل البلاد وليس من خارجها، وبالتالي لم يكن هذا الأمر يمثل ملحوظة خاصة تنطبع في عقل إقبال وذاكرته، وتضطره من حين لآخر إلى التفكير ومحاولة الإصلاح.

أما الصدمة الحقيقية التي أصابت إقبال، وأجبرته إجبارًا ليس على التفكير فقط، وإنما على الدراسة المقارنة أيضاً، وهدته إلى تكوين فلسفة معينة ونظرية خاصة دعا إلى تطبيقها فيما بعد، هذه الصدمة كانت وصوله إلى أوروبا، ورؤيته المجتمع الأوروبيّ على الطبيعة وليس على مستوى النماذج فقط، هناك أصابته الدهشة والحيرة، إذ رأى النقيض لما رآه في بلاده؛ تقدم صناعي وتقنيّ كبير، ومستوى معيشيّ راق، ومستوى تعليميّ وثقافيّ وفكريّ أرقى، وبيئة أكثر نظافة وأبعد عن الصراعات الطائفية المدمرة، ومجتمع لا تسيطر عليه الخرافات والأوهام، ثم إنه مجتمع حرّ - وإن كان يسلب الآخرين حرّيتهم - يحكم نفسه بنفسه.

هذا التناقض الذي رآه إقبال كان بمثابة الصدمة العنيفة التي هزت كيانه هزّاً، وكادت تفقده توازنه، فأعلن براءته من الشعر وقرضه، إذ رأى في قرض الشعر رفاهية ولهواً لا يحقّ له ممارسته،

طالما كان شعبه يرصف في أغلال الاحتلال والعبودية والجهل والتخلف، وأنه باعتباره أحد أفراد المجتمع الإسلامي، ومنوط به دور في تقدم هذا المجتمع، وعليه أن يقوم به، لذا قرر «محمد إقبال» أن لا يقرب الشعر، وكان ذلك عام ١٩٠٦.

أخذ «محمد إقبال» يبحث في الأسباب التي أدت إلى هذا الوضع، ودرس الفلسفات الغربية المختلفة، مع دراسته للدين الإسلامي دراسة وافية، واكتشف أن الإسلام لا يمكن أن يكون سببًا في تخلف أمة من الأمم، بل على العكس، الإسلام يدعو المسلمين إلى الأخذ بأسباب التطور والتقدم، والعمل على تسخير الكائنات، ولذا فإن السبب الرئيس في حالة التراجع التي يعيشها المسلمون هو تخلي المسلمين أنفسهم عن تعاليم دينهم وهجرهم لأحكامه، وهنا كان للسيد توماس آرنولد أثرٌ كبير في توجيه حياة «محمد إقبال» في هذه المرحلة.

في تلك الأثناء كان «الشيخ عبد القادر» مدير مجلة «مخزن» الأدبية ـ التي كان «محمد إقبال» يكتب لها شعرًا ـ في رحلةٍ إلى بريطانيا، ويقيم في لندن، فلما أخبره «محمد إقبال» بنيته في ترك قرض الشعر أصابت الشيخ صدمة كبرى، وأخذ يؤكد له أن شعره ليس من ذلك الشعر الذي ينبغي أن يُتْرَك، وإنما من الممكن أن يكون في شعره دواء للأمراض التي أصابت مجتمعه وأمته، ولذا عليه أن يواصل كتابة الشعر بما أعطاه الله من موهبة لا تتوفر إلا للندرة القليلة.

لكن «محمد إقبال» لم يقتنع بقول الشيخ اقتناعًا تامًا، عندئذ كان لا بد أن يبحث الشيخ عن طريقة ما تثني «محمد إقبال» عن قراره هذا، وإلا كانت الخسارة فادحة، ففكر حينئذ فيمن يمكن أن يكون له تأثير على «محمد إقبال»، فلم يجد غير «توماس آرنولد» بما يعرفه عنه من شخصية قوية وحب لـ «محمد إقبال» وتقدير له، وبما يعلمه كذلك من حب «محمد إقبال» وتقديره له هو الآخر، فعرض الشيخ على «محمد إقبال» أن يرجئ تنفيذ قراره بترك الشعر حتى يستشير أستاذه «توماس آرنولد»، واتفق «الشيخ عبد القادر» مع «محمد إقبال» على أن يتوقف القرار الأخير على ما يقوله «آرنولد»، فإن اتفق رأي «آرنولد» مع رأي «محمد إقبال»، ترك الشعر؛ وكرس وقته في عمل آخر يراه أكثر نفعًا، أما إذا اتفق رأي «آرنولد» مع رأي «الشيخ عبد القادر»، فعلى «محمد إقبال» حينئذ أن يلتزم به، وألا يترك الشعر مهما كانت الظروف ... ووافق «محمد إقبال».

وجاء رأي السيد «آرنولد» موافقًا لرأي «الشيخ عبد القادر» في أن شعر «محمد إقبال» عمل يفوق في أهميته كثيرًا من الأعمال التي ربما يراها «محمد إقبال»[1] أكثر فائدة من الشعر، وكان موقفًا له أكبر الأثر في مسيرة الشعر الأردي ورواجه، ولولاه لحرمت الأمة الإسلامية من هذا الشعر الذي بث الروح في مسلمي شبه القارة الهندية بشكل خاص، حتى أخرجهم من يأسهم، وأعاد إليهم الأمل في الحياة، وخلق لهم وطناً مستقلاً «باكستان»، ولحرمت الإنسانية كلها من تراث أدبي رفيع المستوى.

وهكذا كما يقول الأستاذ الدكتور محمد السعيد جمال الدين: «استخدم «محمد إقبال» الشعر في الإصلاح الوجداني للأمة وشحذ همتها ودفعها إلى الرقي والتقدم الروحي والمادي وتخليق المقاصد السامية المتجددة لها... ولقد كان إقبال بطبعه شاعرًا، ورأى أن هذه الموهبة الفريدة ينبغي أن تستخدم في إصلاح الأمة وفي تحريك القلوب والأفئدة وإحداث تغيير في الشعور ويقظة في الضمير، ومن ثم بدأ يتوجه بدعوته عن طريق الشعر والنثر معًا إلى المسلمين في الهند، وجَعْلِهِمْ بمثابة نموذج لسائر المسلمين بل ولسائر البشرية في كل مكان، ولعل أهم ما ميز شعر إقبال ـ باعتباره شاعرًا إسلاميًا فذًا ـ إيمانه بمكانة الإنسان في هذا الوجود، وقناعته بقابلية الإنسان للرقي الدائم المتواصل، فالإنسان قبس من النور، قبس من القدرة الخلاقة»[2].

على أية حال برغم الصدمة التي أصابت إقبال بوصوله إلى إنجلترا كما أشرنا، إلا أنه لم يصب بانهزامية فكرية وحضارية كتلك التي أصابت كثيرين ممن عاشوا في أوروبا من أبناء الدول المحتلة، كما لم تستهوه أثناء إقامته هناك البدع، ولم يخدعه البريق فينغمس في الشهوات والملاهي، بل كان يعقد المحاضرات يتحدث فيها عن الإسلام وأحكامه العادلة، وعن اشتراكيته وسماحته المشرقة، وعن عقيدته الشريفة التي تجعل الإنسان لا يحني رأسه إلا لله. ونتج عن ذلك كله إقبالٌ لدى «محمد إقبال» على مزيد من الدراسة والفهم والمقارنة وإعادة ترتيب الأمور من جديد، فأنعم الله عليه بفيض من عنده، واستطاع ترتيب أفكاره وإبداعاته في شكل نظريات واضحة وفلسفة عميقة دعا إليها وعمل على نشرها، واستخدم في ذلك ملكته الشعرية التي وهبها الله إياها، فمزج بين الشعر وهو الفن الرقيق، والفلسفة وهي العلم الجاف، وما كان ذلك إلا لقوة ثقافته وعمق دراسته، بالإضافة إلى نعمة الله عليه في الشعر وما هيّأه له من تربية صالحة. ومن الطبيعيّ والحال هكذا أن

(١) المرجع السابق، مقدمة الشيخ عبد القادر، ولمزيد من التفصيل راجع: جاويد إقبال، زنده رود، ص١٣٩ وما بعدها، وراجع كذلك الترجمة العربية النهر الخالد، ظهور أحمد أظهر، ج ١، ص ٢٢٦.

(٢) محمد السعيد جمال الدين، صفحات مطوية من الثقافة الإسلامية، دار الصحوة للنشر، القاهرة، د.ت، ص٩، ١٠.

تقوم فلسفة إقبال على الحركة والنشاط بدلاً من الجمود والغفلة، وأن تدعو إلى التغيير والثورة بدلاً من النمطية الخاطئة والارتكان إلى ما هو ميسّر وعدم الرغبة في المزيد، وأن تؤكّد على التوكل الذي يلازمه العمل والأخذ بالأسباب، وتحثّ على البعد عن التواكل الذي يدعو إلى الخمود والكسل.

كان سفر «محمد إقبال» إلى أوروبا في تلك الفترة بمثابة التحول المحوري في حياته الفكرية والعملية على السواء، فقد تواجه خلالها مع «الآخر»، وعاش على أرضه وفي واقعه، ودرس حضارته وثقافته، ووصل خلالها إلى قناعتين هامتين، ثبت على إحداهما وتراجع عن الأخرى؛ فأما التي ثبت عليها فهي يقينه بأن الإسلام هو دين البشر كافة بحق، وأنه الدين القويم الذي يمنح ـ بالالتزام به ـ الفلاح في الدنيا والآخرة، فكرس حياته من بعد لخدمته والدعوة إليه، وأما القناعة الثانية التي تراجع عنها فهي ما أشرنا إليها آنفًا من قراره بالتخلي عن قرض الشعر.

درس «محمد إقبال» في أوروبا، ولمس خلال إقامته هناك مدى تقدمهم العلمي، وتفوقهم في مجالات الحياة، وفي الوقت نفسه رأى ما يحمله تقدمهم وتفوقهم هذا في طياته من نقائص وعيوب، وعلم أن هذه المدنية الغربية التي تجتاح العالم وتبهر أنظار أبنائه، تفتقد إلى الأساس المتين الذي يمكن أن يكتب لها السيادة والدوام، هذا الأساس هو الجانب الروحي، وحضارة الآلات تسحق تحت عجلاتها كريم الشيم وجميل الخصال كما يقول «محمد إقبال» نفسه:

- حكومة الآلات موت للقلب، فالآلات تسحق إحساس المروءة [1].

لقد أهملت المدنية الغربية ـ في نظر «محمد إقبال» ـ الجانب الروحي، فكانت كمثل عشّ مبني على غصن واهٍ ضعيف، إن لم ينتبه له صاحبه، ويعمل على تقوية أركانه، واستكمال جوانب النقص فيه، فلا بدّ أنه سيسقط ذات يوم لا محالة، ولذا رأينا «محمد إقبال» يحذر المسلم من الانبهار بهذه المدنية والانسياق الأعمى وراءها، ويحثه على أن يكون محتاطًا في التعامل معها، ولن يحدث هذا إلا بأن يكون لديه وعي كامل بها، وأن يتعرف إلى ذاته ويكتشفها، ويقدمها إلى العالم بشكلها الصحيح، ومن هنا هاجم «محمد إقبال» بعض جوانب المدنية الغربية، وأعلن أنها ستقضي على نفسها بنفسها إن داومت على إهمال الجانب الروحي للإنسان، يقول «محمد إقبال» مخاطباً الغربيين:

- يا أهل الغرب، إن أرض الله ليست دكانًا، وما تعتقدونه ذهبًا خالصًا سيفقد قيمته الآنا.

(١) بے دل کے لئے موت مشینوں کی حکومت ** احساس مروت کو کچل دیتے ہیں آلات.
کلیات اقبال، بال جبریل (لینین خدا کے حضور میں)، ص ١٠٨.

• سوف تنتحر مدنيتكم هذه بخنجرها، والعش الذي يُبْنَى على غصن واهٍ لا يدوم أبدًا[1].

ثم يشير في أحد أحاديثه في لندن عام ١٩٣١ أثناء اشتراكه في مؤتمر «المائدة المستديرة» إلى ما كان قد أعلنه في أشعاره السابقة التي كتبها عام ١٩٠٧ قائلاً:

«إن أفدح خطأ ارتكبته أوروبا هو فصل الدين عن الدولة، فقد حَرَمَتْ هذه الخطوة الخاطئة ثقافة الإنسان الأوروبي من الروح الخلقية، ووجهتها نحو المادية الإلحادية، وكنت قد اكتشفت عيوب هذه المدنية قبل خمس وعشرين عامًا ... لقد كانت الحرب العالمية عام ١٩١٤ نتيجة محتومة لهذه الأخطاء الفادحة التي ارتكبتها الشعوب الأوروبية من فصل الدين عن الدولة»[2]، وبدا لـ «محمد إقبال» حينئذ أنه لن يصادف في الغرب ما وجده في الشرق، فقال:

لقد بحثت يا إقبال في أوروبا بلا جدوى ... عن ذلك الشيء الذي تتميز به الحسناوات في الهند[3].

كما هاجم «محمد إقبال» نظرية «القومية» بالمفهوم السياسي الغربي الذي يتقيد بحدود الأرض والجنس واللغة، ثم رفضها فيما بعد رفضًا تامًا حينما تبينت له مساوئه أثناء قيامه في أوروبا، فكتب نظماً بعنوان «وطنيت: الوطنية» يظهر فيها هذه المساوئ:

* في العصر الحاضر الخمر مختلف، و«جمشيد» مختلف ... واخترع الساقي أساليب جديدة للظلم والإكرام.

* وبنى المسلمون لأنفسهم كعبة جديدة ... ونحت «آذر الحضارة» أصناماً جديدة.

* وأخطر هذه الأصنام الجديدة هو الوطن ... إذ أن لباسه للدين بمثابة الكفن.

* العداوة بين أمم العالم بسببه ... والتجارة هدفها الاحتلال بسببه.

* يتفرّق خلق الله في شعوب بسببه ... ويهتزّ أساس القومية الإسلامية بسببه[4].

---

(١) ديار مغرب کے رہنے والو! خدا کی بستی دکان نہیں ہے! **
کھرا جسے تم سمجھ رہے ہو وہ اب زر کم عیار ہوگا!
تمہاری تہذیب اپنے خنجر سے آپ ہی آپ خود کشی کرے گی **
جو شاخ نازک پہ آشیانہ بنے گا پایدار ہوگا
کلیات اقبال، بانگ درا، ص ١٤١.

(٢) غلام رسول مهر، شرح بال جبريل، لاهور، باكستان ١٩٨٢، ص ١٥.

(٣) میں نے اے اقبال، یورپ میں اسے ڈھونڈا عبث ** بات جو ہندوستان کے سیماؤں میں تھی

(٤) مسلم نے بھی تعمیر کیا اپنا حرم اور ** تہذیب کے آذر نے ترشوائے صنم اور
ان تازہ خداؤں میں بڑا سب سے وطن ہے ** جو پیرہن اس کا ہے وہ مذہب کا کفن ہے

وفي خطاب لـ «محمد إقبال» كتبه في ٧ سبتمبر عام ١٩٢١م إلى «وحيد أحمد» رئيس تحرير مجلة «نقيب» التي كانت تصدر في مدينة «بدايون» بالهند حالياً قال:

«إن أعدى أعداء الإسلام والمسلمين في الوقت الحاضر هو التعصب للعرق وفكرة القومية، وقد مضت خمس عشرة سنة حين شعرت بذلك لأول مرة حين كنت في أوروبا، وهذا هو الشعور الذي أحدث ثورة كبيرة في فكري ومخيلتي»(١).

بل وانتقد «محمد إقبال» الحضارة الغربية نفسها نقداً شديداً فقال عنها:

- الحضارة الإفرنجية فساد للقلب والبصيرة، إذ لم تعد روح هذه المدنية عفيفة طاهرة.
- وحين لا تكون الروح طاهرة، فلا وجود للضمير الطاهر، ولا للأفكار السامية، ولا للذوق الرفيع(٢).

ولكن هذا لم يمنع «محمد إقبال» أبدًا من إبداء إعجابه بكثير من شخصيات «الآخر» الغربي ذات البعد الإنساني، فتناول الشاعر والمسرحي الإنجليزي المعروف «شكسبير: متوفى ١٦١٦» في مقطوعة من سبعة أبيات بعنوان «شكسبير»، واصفًا كتاباته بأنها مرآة لقلب الإنسان. يقول:

* جريان النهر مرآة لشفق الصباح، وصمت المساء مرآة لصمت المساء.

* وأوراق الورد لجمال عوارض الربيع، ودوران الكأس مرآة لمحبوبة الخمر.

* الجمال مرآة الحق، والقلب مرآة الجمال، وجمال كلامك مرآة لقلب الإنسان.

* وكمال الوجود من فكرك الذي يطاول السماء، فهل كانت فطرتك المضيئة هي مآل الوجود؟!.

* عندما بحثت عنك العيون المشتاقة، رأتك شمسًا كامنة في ضوء الشمس.

* ظل وجودك محتجبًا عن عين الدنيا، ورأت عينك العالم على حقيقته.

* إن الفطرة تعشق إخفاء أسرارها، ولن تخلق عارفًا بالأسرار مثلك ثانية(٣).

---

(١) ظهور أحمد أظهر، النهر الخالد، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٢٩.

(٢) فساد قلب ونظر ہے فرنگ کی تہذیب ** کہ روح اس مدنیت کی رہ سکی نہ عفیف.
رہے نہ روح میں پاکیزگی تو ہے نہ ہیدا ** ضمیر پاك وخیال بلند ، ذوق لطیف.
كليات إقبال، ضرب كليم، مغربی تہذیب، ص٥٣٣.

(٣) شفق صبح کو دریا کا خرام آئینہ ** نغمہء شام کو خاموشی ، شام آئینہ
برگِ گل آئینہ عارض زیبائے بہار ** شاہدِ مے کے لئے حجلہء جام آئینہ
حسن آئینہ حق اور دل آئینہ حسن ** دل انساں کو ترا حسن کلام آئینہ <=

وتناول «محمد إقبال» كذلك «نابليون بونابرت: متوفى ١٨٢١»، إذ ألقى الضوء على سعيه الدائب لكي يصبح شيئًا ذا قيمة، حتى صار من أكبر قادة أوروبا العسكريين، وقد امتدح «محمد إقبال» هذا الجانب فيه في مقطوعة بعنوان «على ضريح نابليون» من ستة أبيات قال فيها:

* قدر هذه الدنيا المليئة بالجهد والاجتهاد سرّ دفين، وأسرار القدر يكتنفها حماس العمل.

* بفضل حماس العمل يشع سيف «الإسكندر» حرارة تذيب جبل «ألبند».

* بفضل حماس العمل عمّ سيل «تيمور»، ماذا تعني الارتفاعات والانخفاضات أمام السيل.

* بفضل حماس العمل يصير تكبير رجال الله صوت الله.

* لكن فرصة العمل لمحات قليلة، وليالي القبر الطويلة عوضٌ عن هذه اللمحات.

* إن نهاية مطافنا هي وادي الصمت، فارفع الصوت الآن في قِبب الأفلاك[1].

كما تناول «محمد إقبال» كذلك «نيتشه» الفيلسوف الألماني المعروف الذي كان «محمد إقبال» ـ رغم اختلافه مع نظرياته ـ يصفه بأنه «مؤمن القلب كافر الذهن»، ويطلق عليه «درويش الإفرنجة»[2]، وتحدث عنه في مقطوعة تحمل اسم «الحكيم نيتشه» من ثلاثة أبيات قال فيها:

* لم يستطع الحكيم أن يفهم معنى التوحيد، إذ لا بد من البصيرة لفهم أسرار «لا إله».

* فكره الرفيع سهم في كبد السماء، وخياله لجام للشمس والقمر.

* رغم أن رهبنته عفة في فطرته، إلا أن فطرته تشتاق للذنب[3].

= ہے ترے فکر فلک رس سے کمال ہستی ** کیا تری فطرتِ روشن تری مالِ ہستی
تجھ کو جب دیدۂ دیدار طلب نے ڈھونڈا ** تابِ خورشید میں خورشید کو پنہاں دیکھا
چشمِ عالم سے تو ہستی رہی مستور تری ** اور عالم کو تری آنکھ نے عریاں دیکھا
حفظِ اسرار کا فطرت کو ہے سودا ایسا ** رازوں پھر نہ کرے گی کوئی پیدا ایسا

(١) راز ہے راز ہے تقدیر جہان تگ وتاز ** جوش کردار سے کھل جاتے ہیں تقدیر کے راز
جوش کردار سے شمشیر سکندر کا طلوع ** کوہِ الوند ہوا جس کی حرارت سے گداز
جوش کردار سے تیمور کا سیل ہمہ گیر ** سیل کے سامنے کیا شے ہے نشیب اور فراز
صفِ جنگاہ میں مردان خدا کی تکبیر ** جوش کردار سے بنتی ہے خدا کی آواز
ہے مگر فرصتِ کردار نفس یا دو نفس ** عوض پک دو نفس قبر کی شب ہائے دراز
عاقبت، منزلِ ما وادیٔ خاموشان است ** حالیا غلغلہ در گنبدِ افلاک انداز

(٢) غلام رسول مهر، مطالب ضرب كليم، لاهور، ط٥، ١٩٨٢، ص١٠٧.

(٣) حریفِ نکتۂ توحید ہو سکا نہ حکیم ** نگاہ چاہیے اسرار لا إله کے لئے
خدنگِ سینۂ گردوں ہے اس کا فکر بلند ** کمند اس کا تخیل ہے مہ ومہ کے لئے
اگرچہ پاک ہے طینت میں راہبی اس کی ** ترس رہی ہے مگر لذتِ گناہ کے لئے

کليات إقبال، ضرب كليم، حكيم نطشه، ص٥٤٥.

وتناول «محمد إقبال» كذلك «كارل ماركس: متوفى ١٨٣٨»، و تحدث عنه في مقطوعة من ثلاثة أبيات بعنوان «صوت كارل ماركس» يوجه فيها خطابه إلى العلماء والفلاسفة الذين يؤيدون الرأسمالية فيقول:

* قطع العلم والحكمة، وهذا الاستعراض للجدل، لكن الدنيا الآن لا تستسيغ عرض الأفكار القديمة.

* ما الفائدة من كتبك يا فيلسوف الاقتصاد، ليس فيها غير خطابات معقدة، واستعراض زائف للتعاطف والمواساة.

* في معابد الغرب وكنائسهم ومدارسهم، يخفي العقل المخادع مآسي الهوس والطمع.

ومن الجدير بالذكر أن «محمد إقبال» هاجم الإقطاع في كتابه علم الاقتصاد الذي نشر عام ١٩٠٣، أي قبل أن تعرف الهند مصطلح الاشتراكية أصلاً، لكنه لم يكن اشتراكي الفكر، وقد نفى عن نفسه ما اتهمه به شمس الدين حسن مدير مجلة «انقلاب» من أنه اشتراكي الفكر قائلاً: «أنا مسلم، وعقيدتي هي أن القرآن الكريم قدم أفضل علاج للأمراض الاقتصادية للمجتمعات الإنسانية»(١)، لكن «محمد إقبال» امتدح المُطَالِبَ بحقوق العمال والمكافحين، وتجلى ذلك في منظومة «فرمانِ خدا، فرشتوں سے: حكم الله للملائكة» حيث قال:

- انهضوا وأيقظوا فقراء دنياي، وهزوا جدران وأبواب قصور الأغنياء.
- وبثوا الحماس في دماء العبيد بحرقة اليقين، واجعلوا الطائر الصغير يصارع الشاهين.
- إن حكم الشعوب قادم، فامحوا كل أثر قديم يبدو لكم.
- الحقل الذي لا يوفر لزارعه رزقه، عليكم أن تحرقوا كل سنبلة قمح فيه(٢).

(١) محمد وسيم انجم، مطالعہ اقبالیات، راولپنڈی، باکستان ٢٠٠٧، ص ١٠٢، ويمكن الرجوع إلى كتاب «علم الاقتصاد» لمحمد إقبال، طبعة لاهور ١٩٩١.

(٢) اٹھو، میری دنیا کے غریبوں کو جگا دو ** کاخ امرا کے در ودیوار ہلا دو
گرماؤ غلاموں کا لہو سوز یقیں سے ** کنجشک فرومایہ کو شاہیں سے لڑا دو
سلطانیء جمہور کا آتا ہے زمانہ ** جو نقش کہن تم کو نظر آئے مٹا دو
جس کھیت سے دہقاں کو میسر نہیں روزی ** اس کھیت کے ہر خوشہء گندم کو جلا دو
کلیات اقبال، بال جبریل، فرمان خدا، فرشتوں سے، ص٤٠١.

وهذه الأشعار في ذاتها توضح مدى اختلاف «محمد إقبال» مع الفكر الاشتراكي الذي يجعل الإنسان يدعو الإنسان إلى التغيير بعيداً عن الله تعالى، بينما يردد « محمد إقبال» نفس الدعوة إلى التغيير، ولكن من خلال حكم الله تعالى.

وقدم «لينين» في أشعاره من خلال مقطوعة بعنوان «لينين في حضرة الله» من اثنين وعشرين بيتًا، قصّ فيها على لسانه في الحضرة الإلهية مدى الظلم الذي يتعرض له العمال والفقراء في العالم، وأن الرأسماليين يمتصون دماء هذه الطبقات الكادحة، وأن العالم كله في انتظار تدخل القدرة الإلهية حتى تعيد الأمور إلى نصابها، ويعتدل ميزان العدل. يقول:

* أنت قادر وعادل، لكن حياة عبيدك العمال في دنياك غاية في المرارة.

* متى تغرق سفينة الرأسمالية، الدنيا كلها تنتظر اليوم الذي تكافئهم فيه[1].

وفي بداية المنظومة يجرى «محمد إقبال» على لسان «لينين» هذا اعترافاً بأنه اعتمد على فكرة العقل بالمفهوم الغربي للتوصل إلى معرفة الله، بينما العقل وحده لا يمكن أن يكون هو هذه الوسيلة. يقول:

- يا من آياته ظاهرة في الأنفس والآفاق، الحق أن ذاتك حية وخالدة وقوية.
- كيف لي أن أعرف أنك موجود أم لا، ونظريات العقل متغيرة في كل حين وآن[2].

وهكذا هاجم «محمد إقبال» الشيوعية فيما بعد عندما تكشف خطرها، وذلك لأنه يدور في فلك الحق، ويعرف الرجال به.

ولا ننسى أن «محمد إقبال» قد تأثر كثيراً من الآخر الغربي في شكل تأثره من الشعراء الإنجليز، فقد بدأت علاقته بهم منذ تخرج من الكلية الحكومية بلاهور، وكانت دواوين الكثير من هؤلاء الشعراء أمثال «وردز ورث» و«تيني سن» و«برونينج» وغيرهم، وقد قال «محمد إقبال» عن «وردز

(١) تو قادر وعادل ہے مگر تیرے جہاں میں ** ہیں تلخ بہت بندهء مزدور کے اوقات
کب ڈوبے گا سرمایہ پرستی کا سفینہ ** دنیا ہے تری منتظر روز مکافات.
المرجع السابق، بال جبريل، لينين خدا كے حضور ميں، ص ٤٠٠.

(٢) اے انفس وآفاق میں پیدا ترے آیات ** حق یہ ہے کہ ہے زندہ وپاینده تری ذات
میں کیسے سمجھتا کہ تو ہے یا کہ نہیں ہے ** ہر دم متغیر تھے خرد کے نظریات
المرجع السابق، بال جبريل، لينين خدا كے حضور ميں، ص٣٩٨.

ورث» إنه أنقذني من الإلحاد في فترة دراستي[1]، وفي ديوانه الأردي «بانگِ درا» عشرة منظومات مأخوذة من شعراء غربيين، منها خمسة مأخوذة من «لانج فيلو» و«تيني سن» و«وليام كوبر» و«إيمرسن»، والخمسة الأخرى كتبها تأثراً بغربيين آخرين، وقد قال «محمد إقبال» في تقديمه لمنظومة «حسن اور زوال: الجمال والفناء» حين نشرها لأول مرة في مجلة «مخزن» عدد مارس ١٩٠٦: «الفكرة الأصلية لهذه المنظومة استيقيتها من الأدب الألماني، وقد بدلت فيها قليلاً ونظمتها بالأردية مراعاة لقراء مجلة مخزن»[2].

وكما هو واضح تركز تصور «محمد إقبال» للآخر في هذه المرحلة على الغرب وحضارته، ولم يتعرض للآخر «الشرقي» في بلاده شبه القارة الهندية، بالرغم من وجود ما يثير حفيظته بها، وذلك راجع في الغالب إلى أن «محمد إقبال» في تلك الفترة لم يكن قد تخلص بعد من فكرة القومية الجغرافية التي هاجمها فيما بعد عندما تكشفت له مساوئها، ولهذا كان يضع الشرق وحضارته في جانب، والغرب وحضارته في جانب آخر، وبالتالي وجدناه يمتدح الهند وحضارتها، فيكتب النشيد الهندي:

* بلادنا الهند أفضل من العالم كله، نحن بلابله وهو روضتنا

* قلوبنا في الوطن وإن كنا نعيش في الغربة، فاعتبر أننا موجودون حيث توجد قلوبنا.

* تلك الجبال الشاهقة جارة السماء، إنها حارستنا، وهي حاميتنا.

* * *

* انتهت اليونان ومصر والروم من الدنيا، بينما بقينا نحن وبقيت آثارنا.

* لا بد أن هناك مَيْزَةً جعلتنا لا نفنى، فلقد عادانا مرور الزمان لقرون[3].

---

(١) حميد أحمد خان، اقبال كى شخصيت اور شاعرى، بزمِ اقبال، لاهور ١٩٨٣، ص ١٠١.

(٢) المرجع السابق، ص ١٠٧.

(٣) سارے جہاں سے اچھا ہندوستاں ہمارا ** ہم بلبلیں ہیں اس کی یہ گلستاں ہمارا

غربت میں ہوں اگر ہم، رہتا ہے دل وطن میں** سمجھو وہیں ہمیں بھی دل ہو جہاں ہمارا

پربت وہ سب سے اونچا ہمسایہ آسماں کا ** وہ سنتری ہمارا، وہ پاسبار ہمارا

...

یونان ومصر وروما سب مٹ گئے جہاں سے ** اب تک مگر ہے باقی نام و نشاں ہمارا

کچھ بات ہے کہ مٹتی نہیں ہماری ** صدیوں رہا ہے دشمن دور زماں ہمارا

کلیات اقبال، بانگ درا، ترانہ ہندی، ص ٨٣.

والنشيد الوطني لأطفال الهند:

- الأرض التي أعلن فيه الصوفي «جشتي» رسالة الحق، الروضة التي غنى فيها «نانك» أغنية الوحدة.
- الأرض التي اتخذها التاتار وطنًا، الأرض التي جذبت العرب من صحرائهم.
- وطني هو هذه الأرض، وطني هو هذه الأرض[1].

وغيرهما من المنظومات، حيث كانت نظرته نظرة كلية تخلو من التفاصيل، وهو ما تغلب عليه «محمد إقبال» فيما بعد حين ازدادت ثقافته عمقاً، ومشاهداته اتساعًا، فأصبح تعامله مع «الآخر» عندئذ محددًا، وصارت نظرته إليه فيما بعد أكثر دقة ووضوحًا.

انتهت هذه المرحلة من التشكيل الفكري التي تواجه فيها «محمد إقبال» مع «الآخر» بعودته من أوروبا بعد حصوله على الدكتوراه عام ١٩٠٨، وتميزت بأن «الآخر» في بدايتها لم يكن واضحاً في شعره الأردي، وهذا أمر طبيعي، إذ أن «محمد إقبال» لم يكن قد تعمق بعد في دراسة هذا الآخر، وبالتالي لم تكن فكرة مواجهة «الآخر» ومصارحته قد تبلورت بعد في فكره، وإنما انحصر «الآخر» عنده في التأثر بهذا «الآخر» من خلال الإطلاع على الأدب الغربي، وتأثره ببعض ما فيه أثناء عمله في الكلية الحكومية مدرسًا للغة الإنجليزية، وبالتالي محاولته ترجمة هذا البعض إلى الشعر الأردي، وهو ما نراه في ترجمة بعض المنظومات لشعراء غربيين، ومن هذه المنظومات منظومة للشاعر الأمريكي «لانج فيلو»[2] بعنوان «DAY BREAK»، وقد ترجمها «محمد إقبال» تحت عنوان «پيامِ صبح: رسالة الصباح»، وهي ترجمة حرة تجعل القارئ - إن لم يصرح «محمد إقبال» أنها ترجمة - يعتقد بأنها من نظم «محمد إقبال» نفسه، وربما كان البيت الأخير من المنظومة هو الوحيد الذي يوحي بأنها مترجمة إذا قرأ بالتوازي مع نظيره من منظومة «لانج فيلو»[3].

---

(١) چشتی نے جس زمیں میں پیغام حق سنایا ** نانك نے جس چمن میں وحدت کا گیت گایا
تاتاریوں نے جس کو اپنا وطن بنایا ** جس نے حجازیوں سے دشت عرب چھڑایا
میرا وطن وہی ہے، میرا وطن وہی ہے
کلیات اقبال، بانگِ درا، ہندوستانی بچوں کا قومی گیت، ص ٨٧.

(٢) ولد لونج فيلو في بورت لاند بأمريكا عام ١٨٠٧، وعمل أستاذًا للأدب في مختلف المعاهد العلمية، وتوفي عام ١٨٨٢، وأكثر أشعاره في الأخلاقيات، كان في ذاته إنساناً حسن الخلق طيب القلب، وحكى عنه أنه خرج إلى الصيد ذات مرة، واصطاد حيوانًا، فتأثر بمنظر دمائه وموته حتى قطع على نفسه عهدًا ألاّ يقرب الصيد بعدها. انظر: غلام رسول مهر، مطالبِ بانگِ درا ص ٥٨.

(٣) البيت هو: =>

ومن هذه المنظومات كذلك منظومة للشاعر «تيني سن»[1] بعنوان « LOVE AND DEATH»، وترجمها «محمد إقبال» بعنوان «عشق اور موت: العشق والموت»، وهي ترجمة حرة كذلك، أجاد فيها إقبال أيما إجادة.

ومن هذه المنظومات أيضًا منظومة للشاعر الأمريكي «آر دبليو إيمرسن»[2] بعنوان « THE MOUNTAIN AND THE SQUIRREL»، وترجمها «محمد إقبال» بعنوان «پہاڑ اور گلہری: الجبل والسنجاب». وهناك منظومات أخرى غير التي ذكرناها، خذها «محمد إقبال» عن شعراء غربيين في هذه المرحلة الأولى من حياته، وكلها مجرد تأثر مما نظمه هذا «الآخر» من الغرب.

٧، ٨ المرحلة الثانية:

وأما المرحلة الثانية فتبدأ بعد أن عاد إقبال إلى الهند، وتبلورت أفكاره، واتخذت شكل فلسفة منظمة ذات عناصر واضحة، وهدف أكثر وضوحًا، وكان هذا الهدف هو إيقاظ الأمة الإسلامية من سباتها العميق، وحثهم على الرجوع إلى دينهم، واستعادة أمجادهم. وقد اعتمد إقبال في سبيل تحقيق هذا الهدف على ثلاثة عناصر أساسية:

١ - تذكير المسلمين بالأمجاد الضائعة.

٢ - زرع الأمل في قلوبهم من أجل المستقبل المضيء الذي سيقبّل أقدامهم إن هم رجعوا إلى دينهم.

٣ - حمايتهم والحفاظ عليهم من الانبهار بأي بريق مؤقت قد لا يكون له أصل من الحقيقة في كثير.

ومن هنا تحدث إقبال عن الأندلس، وقرطبة، وبغداد، ودهلي، والحجاز، وكتب نشيد الأمة الذي يبدأ بالبيتين التاليين:

- الصين والعرب لنا، والهند لنا، نحن المسلمون، والدنيا كلها وطن لنا.

= It Crosse the churchyard with a sigh And said: not yet! In quiet lie

وترجمه إقبال هكذا:

سونے گور غریباں جب گئی زندوں کی بستی سے ** تو یوں بولی نظر را دیکھ کر شہر خموشاں کا

ابھی آرام سے لیٹے رہو میں پھر بھی آؤں گی ** سلا دوں گی جہاں کو، خواب سے تم کو جگاؤں گی

والمعنى: عندما وصل نسيم الحياة إلى قبور الفقراء مارًا بقرى الأحياء، ورأت منظرها قالت: لتبقوا أنتم نائمين في هدوء، سأعود ثانية، سأجعل الدنيا تنام، ثم أوقظكم أنتم من نومكم.

كليات إقبال، بانگِ درا، پیام، ص ٥٦.

(١) اللورد تيني سن من أكبر شعراء بريطانيا، ولد عام ١٨٠٩، وتوفي في أكتوبر عام ١٨٩٢، وقد نشرت ترجمة إقبال هذه في مجلة مخزن، عدد نوفمبر ١٩٠٣، وكانت في بدايتها تضم تسعة وعشرين بيتًا، وأما نظومة في بانگِ درا، ص ٦١.

(٢) هو الفيلسوف والشاعر الأمريكي ايمرسون، ولد عام ١٨٠٣، وتوفي عام ٨٨٢.

- أمانة التوحيد في صدورنا، وليس من السهل القضاء على وجودنا[1].

ثم كتب «شكوى» و«جواب شكوى»، حاول فيهما تحديد الأسباب التي أدت إلى تراجع المسلمين وتخلفهم عن غيرهم، فقال في «شكوى» ما ترجمه الشيخ الصاوي علي شعلان كالتالي:

* قيثارتي ملئت بأنات الجوى ... لا بد للمكروت من فيضان
* صعدت إلى شفتي لواعج مهجتي ... ليبين عنها منطقي ولساني
* أنا ما تعديت القناعة والرضا ... لكنما هي قسمة الأشجان
* يشكو لك اللّهم قلب لم يعش ... إلا لحمدك في الأكوان

وقال في «جواب الشكوى» ما ترجمه الشيخ الصاوي كذلك فيما يلي:

* عطايانا سحائب مرسلات ... ولكن ما وجدنا السائلينا
* وكل طريقنا نور ونور ... ولكن ما رأينا السالكينا
* ولم نجد الجواهر قابلات ... ضياء الوحي والنور المبينا
* وكأن تراب آدم غير هذا ... وإن يك أصله ماءً وطينا
* ولو صدقوا وما في الأرض نهر ... لأجرينا السماء لهم عيونا[2]

وتعرض للآخر الشرقي «الهندوكي» ناقداً إياه في إشعاله نار الخلافات الدينية والطائفية التي تمزّق أبناء الوطن الواحد، ولائماً على من سلك طريق «الآخر» من ينتمي إلى الـ «أنا» من بني دينه، مشدداً على أن الوطن يسعُ الجميع دون تفرقة بين «الأنا» و«الآخر»، وأن للوطن قدسيته واحترامه، وذلك في منظومة بعنوان «نيا شواله: المعبد الجديد» فقال:

* أيها البرهمن، أصدقك القول إن لم تغضب.... لقد عفا الزمن على أصنام معابدك
* تعلّمت معاداة أبناء جلدتك من الأصنام، واتّخذ الواعظ لنفسه طريق الخلاف والجدل

---

(١) چين وعرب ہمارا، ہندوستاں ہمارا ** مسلم ہیں ہم، وطن ہے سارا جہاں ہمارا
توحید کی امانت سینوں میں ہے ہمارے ** آساں نہیں مٹانا نام ونشاں ہمارا
كليات إقبال، بانگِ درا، ترانه ملي، ص ١٨٦.

(٢) أمجد حسن سيد أحمد، شاعر الشرق محمد إقبال، مرجع سابق، ص٥٤، ولا طلاع على الأصل الأردي راجع: كليات اقبال، بانگِ درا، شكوه ص ١٦٣، جواب شكوه ص ١٩٩.

* لقد ضِقْتُ في النهاية ذرعاً بالدير والحرم وهجرتهما ...أعرضت عن وعظ الواعظ، وعن أساطيرك.

* ظننتَ أن الله في تماثيلك الحجرية ... وكل ذرة من تراب الوطن مقدّسة لديّ.

* تعال نكشف السّتار مرّة عن وجه هذه الغربة ... ونعيد المفترقين ثنية، ونمحو كل أثر للثنائية.

* دنيا القلب مقفرة من زمن بعيد ... تعال نبني في هذا الوطن معبداً جديداً.

* لترتفع قبتنا فوق قبب العالم ... ونجعل العلائم فوقها تلامس أحضان السماء.

* وننشد كل صباح الترانيم الجميلة ... ونسقي النسّاك جميعاً خمر المحبة.

* القوة في أناشيد النسّاك، والسكون كذلك، وخلاص أهل البسيطة في المحبة.

في هذه المرحلة لم يفقد «محمد إقبال» الأمل في أن يتحرر المسلمون من قيودهم، ويعودوا إلى سابق مجدهم، ولم يكن هذا مجرد وهم أو خيال، وإنما كان نابعاً من إيمانه بأن الإسلام هو أقوى محرك لدفع الإنسان إلى النهوض والتقدم من أجل خير بني البشر، ولذا فقد كتب منظومته الرائعة «طلوع إسلام» يبشر فيها بنهضة المسلمين، وبمقدرتهم على بناء عالم جديد، يقول إقبال فيما ترجمه الشيخ شعلان:

تبشرني النجوم إذا تـوارت ** لدى الأسحار بالفجر الوليد
كأن خفوت ضوء النجم ليلاً ** بشير اليُمْنِ باليوم الجديـد

* * *

مضى النوم الثقيل عن المآقي ** ونور الشمس آذن بالشروق
وهبَّ الشرقُ منتبهًا وثارت ** عزائمه دماءً في العروق

* * *

فإن عصفت بنا الدنيا فإنا ** على درب المسيرة دون يأس
فناء الأنجم الغراء بشرى ** بميلاد كوكب وشروق شمس[1]

(١) شاعر الشرق محمد إقبال (مرجع سابق)، ص٩١.

ولم يكن هذا الإحساس مبنياً على ردّ فعل تجاه تقدم «الآخر»، أو حتى استغلاله غير المشروع لبلاد المسلمين وأبنائها، وإنما كان ثقة في أن الإسلام هو الذي يفرض نفسه بما يضم من قيم في التسامح والمساواة واحترام الإنسان، وقبوله «الآخر» حتى وإن اختلف معنا دينًا وثقافة، أو لونًا وعرقًا، إذ أن التعصب يمزق بني الإنسان، ويجعل من كل منهم عدواً للآخر، رغم أن الأساس هو ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾[البقرة:٢٥٦] و﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾[الكافرون:٦]. يقول إقبال فيما ترجمه الشيخ شعلان:

أرى الأطماع فرقت البرايا ** إلى شِيَعٍ تقطعان البوادي
يمزق بعضهم في الحرص بعضًا ** وكلهم كلهم أعادي

* * *

تعصب بعضهم للون جهلاً ** وللإقليم والدم والقبيل
بما نشر البلايا في البرايا ** وعمَّ الخلقَ جيلاً بعد جيل

* * *

ومصدر فطرة الإسلام حقًا ** وشرعتها لكل المسلمينا
إخاءٌ ينظم الأقطار عقدًا ** ويحتضن الخلائق أجمعينا[1]

* * *

في هذه المرحلة تأثر إقبال بالآخر الشرقي أيضاً، وأفرد له مكاناً في شعره الأردي، ومثالنا على ذلك منظومته «آفتاب: الشمس»[2] المأخوذة من كتاب «الرجويد» المقدس في الهند القديمة، والتي ترجمت إلى العديد من لغات الغرب، وإن لم تصل إلى مستوى الأصل الموجود في اللغة السنسكريتية.

كما تحدث «محمد إقبال» عن «سوامي رام تيرتهـ» الهندوسي الذي كان صديقا له، ونذر حياته لخدمة بلاده وأهلها، حتى اتهمه بعض الناس باختلال العقل والجنون حين استقال من وظيفته من أجل تحقيق الهدف الذي نذر حياته من أجله رغم أنه كان فقيراً، وعندما سمع إقبال بهذا الاتهام قال: «لو أن هذا الرجل مجنون فإنه لا يوجد على ظهر الأرض عاقل»، وبعد عمر لم يتعد الثالثة والثلاثين

(١) المرجع السابق.
(٢) كليات اقبال، بانگِ درا، آفتاب، ص ٤٣.

سنة زار خلالها اليابان وأمريكا ومصر مات غريقاً في نهر «گنگا»، فرثاه «محمد إقبال» بمقطوعة من ستة أبيات تحمل اسمه، وصفه فيها بأنه كالجوهرة التي يندر أن نجد لها نظيراً، وأنه بوفاته بهذه الطريقة كشف أسرار الحياة التي لا يعرفها الكثيرون، وأن قلبه عارف بالحقيقة، وأنه عاشق صادق. يقول:

* لقد عانقت النهر أيتها القطرة القلقة، كنت قبلا لؤلؤة، والآن أصبحت نادرًا.

* آه، ما أجمل الطريقة التي كشفت بها سر الحياة، بينما أنا لم أفهمها إلى الآن.

* انتهى صخب الحياة، وصار ضجيج يوم الحشر، وانطفأت هذه الشرارة لتصير معبدا للنيران.

* نَفْيُ الذات معجزةُ القلوب العارفة، ولؤلؤة "إلا الله" كامنة في نهر "لا".

* ومعنى النهاية خاف على العيون غير البصيرة، فعندما يتوقف اضطراب الزئبق يصبح فضة خالصة.

* إبراهيم العشق يحطم صنم الوجود، فكأن نشوة نهر تسنيم العشق دواء للشعور.

كما تناول «محمد إقبال» في شعره «سري رام چندر جي»، وامتدحه في مقطوعة بعنوان: «رام» من ستة أبيات، ذكر فيها أن الهند تفخر به، وأنه كان فارسًا مغوارًا شجاعًا عفيفًا يمتلئ حبًا وعشقًا. يقول:

* كأس الهند ملئ بخمر الحقيقة، وخلبت الهند لب فلاسفة الغرب.

* ونتيجة لفكر الهنود الرفيع، صار سقف الهند أعلى من السماء.

* لقد عاش في هذا البلد آلاف من الأطهار، ذاع بفضلهم صيت الهند في العالم.

* تفخر الهند بوجود «رام»، ويؤمن أهل البصيرة بأنه إمام الهند.

* إنه إعجاز مصباح الهداية هذا، أنْ مساء الهند أكثر ضياءً من الصباح.

* كان كحد السيف، متفردًا في الشجاعة، ولا نظير له في العفة وصدق الحب.

وتناول كذلك «گورو نانك» مؤسس الديانة السيخية، واصفًا إياه بأنه أعاد إلى الهند ضياء المعرفة ثانية، بعد أن فقدته عندما لم تلق بالا إلى تعاليم «گوتم بدھ»، وامتدحه مع «گوتم بدھ» أو «بوذا» في مقطوعة من ثمانية أبيات قال فيها:

* لم يلق القوم بالا إلى رسالة «گوتم»، ولم يعرفوا قدر جوهرتهم.

* آه، لقد ظلوا تعساء في غفلة عن صوت الحق، كالشجر يظل غافلا عن حلاوة ثماره.

* لقد كشف لهم سرّ الحياة، لكن الهند وأهلها هائمون بفلسفتهم الخيالية.

* ليس هذا هو ذلك المحفل الذي أضاءه شمع الحق، لقد نزلت أمطار الرحمة، لكن الأرض غير صالحة.

* آه، إن الهند بيت أحزان للمنبوذين، ولا يعرف قلب هذا البلد العطاب الإنساني.

* البراهمة منتشون بخمر الغرور، بينما شمع «گوتم» ينير محافل الآخرين.

* لكن المعبد أضاء ثانية بعد مدة، وأضاء بيت آزر بنور إبراهيم.

* وتعالى صوت التوحيد في النهاية من أرض البنجاب، وأيقظ الرجل الكامل الهند من الأحلام.

وبهذه الروح التي تكّن حباً لبني البشر طالما احترم كل منهم الآخر، وبهذه النظرة التي تساوي بين بني الإنسان طالما تخلص كلّ منهم من تعصبه وضيق أفقه، تناول إقبال في أشعاره الأردية شخصيات عديدة ممن يمثلون «الآخر» سواء من الشرق أو الغرب، واتّصف أصحابها بالعمل على خدمة البشر وتقديم النافع لهم، فتأثر بهم، وأفرد لهم مكاناً في فكره.

٨: ٨ «الأنا» في فكر إقبال

إذا كان ما سبق هو الآخر في فكر إقبال في ضوء شعره الأردي فيجدر بنا أن نقدم وجهة نظر «محمد إقبال» في: من هو «الأنا» الذي يريده إذًا، وعبر عنه في شعره الأردي؟ والجواب ببساطة هو ما أطلق عليه «محمد إقبال» نفسه «مرد مومن: الرجل المؤمن» أو «مرد حدا: رجل الله» كما ذكرنا آنفاً، وكأن الآخر هو كل ما عدا هذا «الأنا».

لقد عاش «محمد إقبال» فى فترة كان العالم الإسلامى كله - متلاً بما فيه مصر وشبه القارة الهندية، ورأى بعينه التخلف الشديد الذى أصاب البلاد والعباد بسبب الاستعمار من جانب، وبسبب تراخى الناس وتهاونهم وركونهم إلى الكسل، وبعدهم عن الهدف الحقيقي الذى خلقوا من أجله من جانب آخر، وكذلك بسبب إغراقهم فى الصراعات والكراهية والتفرقة والتمييز بين البشر، وكان لا بد أن يشغل هذا كله فكر إقبال وعقله، وهو الذى منحه الله تعالى قلباً سليماً وفطرة مستقيمة وملكة شعرية خلاقة وعقلا مفكراً متوازناً، كيف يوقظ هؤلاء المستعبدين المستضعفين من

الناس ويجعلهم يقبلون على الحياة ويواجهون الصعاب ويحققون إرادة الله من خلقهم. فكر «محمد إقبال» كثيراً، ودرس وطالع كثيراً، وأخلص لله ما يفعل، فخرج في نهاية الأمر بمجموعة من النظريات والفلسفات التي تؤدي في النهاية إلى تشكيل الإنسان كما يريده الله تعالى، وهو الذي أطلق عليه إقبال «مردِ خدا: رجل الله ـ مردِ مومن: الرجل المؤمن ـ مردِ حر: الرجل الحر» وكلها تعني «الرجل الحق»، وحدد إقبال صفات هذا الرجل واضعاً في اعتباره ومخيلته سيد البشر أجمعين سيدنا محمد ﷺ.

شبه إقبال هذا الرجل الحق بالشاهين، وهو أرقى أنواع الصقور، فالشاهين حادّ البصر، محدّد الهدف، واضح الرؤية، لا يتجه إلى الهدف إلا بعد دراسته ووضوحه، لا يأكل من صيد غيره، ولا يأكل جيفة أو ميتة، ولا يطير مع من هم أقل منه درجة، ولا يركن إلى الراحة، ويميل إلى التفكير والتأمل، ولا يبتني لنفسه عشاً، ويطير في أعالي الجبال، ويسكن قممها. ورجل الله أيضاً كذلك، واضح الهدف، قوي البصر والبصيرة، لا يأكل الا من عمل يده، لا يأكل حراماً، ولا يركن إلى الراحة والكسل. يقول «محمد إقبال» عن الشاهين:

- هجرت هذه الأرض وابتعدت عنها، حيث الرزق فيها مجرد الحبوب والماء
- تعجبني خلوة الصحاري، فأنا راهب بفطرتي منذ الأزل
- أنا درويش دنيا الطيور، فالشاهين لا يبتني لنفسه عشًا[1].

ورجل الله عند إقبال يدعو إلى الدين وإلى الاتحاد والوحدة:

- الأمة بالدين، ولا وجود لأحد بغير الدين، وإذا لم تتحد الأنجم بعًا انفرط عقدها[2].

ويرى الحرية أساس الحياة، ولا إبداع بلا حرية:

- في الاستعباد تتناقص الحياة وتصير جدولاً صغيراً، وفي الحرية تسبح بحرًا لا تحده شطئآن[3].

---

(١) كيا میں نے اس خاکداں سے کنارا ** جہاں رزق کا نام ہے آب ودانہ
بیاباں کی خلوت خوش آتی ہے مجھ کو ** ازل سے ہے فطرت مری راہبانہ
پرندوں کی دنیا کا درویش ہوں میں ** کہ شاہیں بناتا نہیں آشیانہ
کلیات إقبال، بال جبریل، شاهین، ص٤٩٥.

(٢) قوم مذہب سے ہے، مذہب جو نہیں، تم بھی نہیں ** جذب باہم جو نہیں، محفل انجم بھی نہیں
المرجع السابق، بانگ درا، جواب شکوه، ص١٩٩.

(٣) بندگی میں گھٹ کے رہ جاتی ہے اک جوئے کم آب ** اور آزادی میں بحر بیکراں ہے زندگی
المرجع السابق، بانگ درا، خضر راه، ص٢٥٥.

ورجل الله ينبذ الفرقة ويكره التعصب والطمع والخلاف:

- التفرقة بين سيد وعبد فساد للإنسانية، فالحذر أيها الظالمون، إن أ: ذ الفطرة قاسٍ[1].

ويؤمن بالمساواة:

- وقف محمد وإياز في صف واحد، فلا سيد ولا عبد.
- تساوى العبد والسيد والغني والفقير، صار الجميع في حضرتك سواء[2]

والعمل الذي يقوم به يُكتب له الخلود لإجادته له وإخلاصه فيه:

- لكن ذلك العمل يكتب له الخلود، العمل الذي يؤديه رجل الله.
- عمل رجل الله مضيء بالعشق، فالعشق أصل الحياة والموت عليه حرام[3]

قليل الآمال لنفسه، ومقاصده وأهدافه عظيمة ، وأداؤه ساحر ونظرته هادفة:

- آماله قليلة، ومقاصده جليلة، وأداؤه ساحر، ونظرته جاذبة.
- لين عند الكلام، متحمس عند البحث، في سلم أو حرب عفيف ط اهر القلب[4].

يد الله هي يده ، وهو الذى يمنحه القدرة:

- يد الله هي يد العبد المؤمن، ولذا فهو الغالب والمدبر والمنجز[5].

وفي النهاية فإننا لا نبالغ إذا قلنا بأن إقبال كان يتمنى عدم وجود مثل هذه التفرقة بين «أنا» و«الآخر»، وظل يأمل لو انتهت هذه الازدواجية، لأنها سبب العداوة، فالتفرقة بين «أنا» و«الآخر»

---

(١) تمیز بندہ وآقا فسادِ آدمیت ہے ** حذر اے چیرہ دستاں سخت ہیں فطرت کی تعزیریں
المرجع السابق.

(٢) ایک ہی صف میں کھڑے ہو گئے محمود وایاز ** نہ کوئی بندہ رہا اور نہ کوئی بندہ نواز
بندہ وصاحب ومحتاج وغنی ایک ہوئے ** تیری سرکار میں پہنچے تو سبھی ایک ہوئے
المرجع السابق، شکوہ، ص١٦٥.

(٣) ہے مگر اس نقش میں رنگِ ثباتِ دوام ** جس کو کیا ہو کسی مردِ خدا نے تمام
مردِ خدا کا عمل عشق سے صاحب فروغ ** عشق ہے اصل حیات، موت ہے اس پر حرام
المرجع السابق، بال جبریل، مسجد قرطبه، ص٩٤.

(٤) اس کی اُمیدیں قلیل ، اس کے مقاصد جلیل ** اس کی ادا دلفریب ، اس کی نگہ دل نواز
نرم دمِ گفتگو ، گرم دمِ جستجو ** رزم ہو یا بزم ، پاک دل و پاک باز
نفس المرجع.

(٥) ہاتھ ہے اللہ کا ، بندۂ مومن کا ہاتھ ** غالب وکارآفریں، کارکشا، کارساز
نفس المرجع.

تنبع أولاً من الاعتقاد بأن «أنا» أفضل من هذا «الآخر»، ويكون التعصب هو أول ثمار هذا الاعتقاد، فالتفرقة في نظر إقبال شجرة، وثمارها التعصب، والتعصب هو الثمرة لخرج آدم من الجنة:

* التفرقة شجر، والتعصب ثمرها، فهذه هي تلك الثمرة التي تخرج آدم[١].

* إن كان هدفك في الدنيا تعليم الدين، فلا تعلم أهلك ترك الدنيا أبداً.

* ولا تفتح فمك بما يؤدي إلى التفرقة، ففي هذا يكمن الدمار الكامل.

* ينبغي أن تتولد كتاباتك أسباب الوصل، واحرص على ألا يؤذي كلامك قلب أحد[٢].

* دعك من التعصب أيها الغافل، فإن ما تره من صور في مرسم الدهر لا تعجبك إنما هي صورك أنت[٣].

* دمرت التفرقة العنصرية الشعوب، فهل يفكّر أهل وطني حقاً في مصلحة وطنهم[٤].

* الخوف من كل جديد، والتعصب لكل قديم، هو أصعب مرحلة في حياة الشعوب[٥].

* الفرد قائم بارتباطه بالأمة، وهو خارجها لا شيء يذكر، فالموج يكون موجاً في البحر، وهو خارجه لا شيء يذكر[٦].

* تفرقة عنصرية، وتفرقة طائفية، هل هذا مما يثبت الأركان في الدنيا؟![٧]

---

(١) شجر ہے فرقہ آرائی، تعصب ہے ثمر اس کا ** یہ وہ پھل ہے کہ جنت سے نکلواتا ہے آدم کو
کلیات اقبال، بانگِ درا، ص٧٤.

(٢) مدعا تیرا اگر دنیا میں ہے تعلیم دین ** ترکِ دنیا قوم کو اپنی نہ سکھلانا کہیں
وا نہ کرنا فرقہ بندی کے لئے اپنی زباں ** چُھپ کے ہے بیٹھا ہوا ہنگامۂ محشر یہاں
وصل کے اسباب پیدا ہوں تری تحریر سے ** دیکھ! کوئی دل نہ دکھ جائے تری تقریر سے
کلیات اقبال، بانگِ درا، سر سید کی لوح – ص ٥٢ .

(٣) تعصب چھوڑ نا داں! دہر کے آئینہ خانے میں ** یہ تصویریں ہیں تیری جن کو سمجھا ہے بُرا تو نے
کلیات اقبال، بانگِ درا، ص ٧٢.

(٤) اُجاڑا ہے تمیز ملت وآئیں نے قوموں کو ** مرے اہلِ وطن کے دل میں کچھ فکرِ وطن بھی ہے؟!
کلیات اقبال، بانگِ درا، ص ٧٦ .

(٥) آئین نو سے ڈرنا، طرز کہن پہ اڑنا ** منزل یہی کٹھن ہے قوموں کی زندگی میں
کلیات اقبال، بانگِ درا، ص ١٧٤ .

(٦) فرد قائم ربطِ ملت سے، تنہا کچھ نہیں ** موج ہے دریا میں، اور بیرونِ دریا کچھ نہیں
کلیات اقبال، بانگِ درا، ص ١٩٠ .

(٧) فرقہ بندی ہے کہیں اور کہیں ذاتیں ہیں! ** کیا زمانے میں پنپنے کی یہی باتیں ہیں؟
کلیات اقبال، بانگِ درا، جواب شکوہ، ص ٢٠٢

* أنت من الأشراف، وأنت مرزا، وأنت أفغاني، أنتم كل شيء، ولكن قل لي: هل أنت مسلم حقاً[1].

* أنتم قساة فيما بينكم، وهم رحماء، أنتم خطاءون وتترصدون الاخطاء، وهم كرماء ستارون للعيوب.

* الجميع يريدون أن يكون مقامهم فوق الثريا، ولكن يجب أولاً أن يكون لدينا القلب السليم[2].

(١) یوں تو سید بھی ہو، مرزا بھی ہو، افغان بھی ہو ** تم سبھی کچھ ہو، بتاؤ تو، مسلمان بھی ہو؟!
کلیات اقبال، بانگِ درا، جواب شکوہ، ص ٢٠٣.

(٢) تم ہو آپس میں غضبناک، وہ آپس میں رحیم ** تم خطا کار وخطابیں، وہ خطا پوش وکریم
چاہتے سب ہیں کہ ہوں اُوج ثُریا پہ مُقیم ** پہلے ویسا کوئی پیدا تو کرے قلبِ سلیم
کلیات اقبال، جواب شکوہ، ص ٢٠٤.

نتائج البحث:

- «الآخر» في نظر «محمد إقبال» غير مرتبط بشرق أو بغرب، إنما يعني به كل من لا يتصف بصفات رجل الله، أياً كان دينه وثقافته وجغرافيته، وهذا هو ما عبر عنه في شعره الأردي.
- «الأنا» في نظر «محمد إقبال» هو رجل الله أو الرجل الحق، والمثال الأعلى في ذلك هو النبي ﷺ.
- اهتم «محمد إقبال» في شعره وفكره بالإنسان بعامة، ولذلك يصلح أن نقول عنه «شاعر الإنسانية».
- خلت نظرة «محمد إقبال» للآخر من التعصب الضيق للجغرافيا أو للعرق أو اللون.
- كان الشعر أفضل وسيلة لـ «محمد إقبال» في سبيل الدعوة إلى فكره وفلسفته، وصولاً إلى تجديد الفكر وإصلاحه.
- انعكست نظرة «محمد إقبال» إلى الآخر في شعره الأردي بشكل واضح، وهو ما اعتمدنا عليه في بحثنا هذا.

مراجع البحث

أولاً: المراجع العربية

١ – ابن منظور: لسان العرب.
٢ – الصاوي علي شعلان: إيوان إقبال، القاهرة ١٩٧٧.
٣ – أمجد حسن سيد أحمد (دكتور)و إبراهيم محمد إبراهيم (دكتور): شاعر الشرق محمد إقبال، مطبوعات سفارة باكستان، القاهرة ١٩٩.
٤ – حنان معزي: حوار الأنا والآخر في رواية «كتاب مسالك أبواب الحديد» لواسيني الأعرج، رسالة ماجستير ٢٠٠٩/ ٢٠١٠، قسم اللغة والأدب العربي كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر.
٥ – خالد عباس أسدي، محمد إقبال، مكتبة مدبولي، القاهرة ٢٠١٢ م.
٦ – ظهور أحمد أظهر (دكتور): النهر الخالد (جزءان)، الترجمة العربية لكتاب زنده رود لجاويد إقبال، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٥.
٧ – عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة.
٨ – عبد الوهاب عزام (دكتور): إقبال، حياته وسيرته، القاهرة ١٩٦٢.
٩ – محمد السعيد جمال الدين (دكتور) وأمجد حسن سيد أحمد (دكتور): نخبة من آراء مفكري العرب حول محمد إقبال، من مطبوعات السفارة الباكستانية، القاهرة ١٩٩٨م.
١٠ – محمد راتب الحلاق: نحن والآخر، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٧م.
١١ – محمد عابد الجابري: الغرب والإسلام، مجلة العربي، عدد ٥٠٣، الكويت، أكتوبر ٢٠٠٠.
١٢ – محمد نور الدين أفاية: المتخيل والمتواصل (مفارقات العرب والغرب)، دار المنتخب العربي، لبنان، ط ١٩٩٣م.

ثانياً: المراجع الأردية:

١ - آصف جاه كاروانى (دكتور): اقبال كا فلسفه خودى، اردو اكيدمى سندھ، كراچى، باكستان ١٩٧٧م.
٢ - جاويد اقبال: زنده رود، سنگ ميل پبلى كيشنز، لاهور، ٢٠٠٨م.
٣ - جاويد اقبال (ڈاكٹر: افكار اقبال، اقبال اكادمى پاكستان، لاهور ١٩٩٤م.
٤ - حميد أحمد خان: اقبال كى شخصيت اور شاعرى، بزم اقبال، لاهور ١٩٨٣.
٥ - خالد نظير صوفي: اقبال درون خانه، بزم اقبال، لاهور ١٩٨٢م.

٦ - خرم علی شفیق، اقبال: ابتدائی دور ١٩٠٤ تك، اقبال اکادمی، پاکستان، ط١ ٢٠٠٨.

٧ - رفیع الدین هاشمی (ڈاکٹر): خطوط اقبال، مکتبه خیابان ادب، لاهور ١٩٧٦م.

علامه اقبال اور میر حجاز، بزم اقبال، لاهور ١٩٩٤م.

اقبال شناسی اور جرنل ریسرچ، بزم اقبال، لاهور ١٩٨٩م.

٨ - سلیم اختر (ڈاکٹر): مسلم ممالك میں اقبال شناسی کی روایت، سنگ میل پبلی کیشنز، لاهور ٢٠١٣م.

٩ - عبد الرحمن طارق: جوهر اقبال، شیخ غلام علی اینڈ سنز، لاهور، د.ت.

١٠ - عبد المغني (دکتور): تنویر اقبال، مکتبه تعمیر انسانیت لاهور، باکستان ١٩٩٠م.

١١ - غلام رسول مهر: شرح بال جبریل، لاهور، باکستان ١٩٨٢.

مطالب ضرب کلیم، لاهور، ط٥، ١٩٨٢.

مطالب بانگِ درا، لاهور، باکستان ١٩٨٧م

مطالب بال جبریل، شیخ علی اینڈ سنز، لاهور، ط٦، ١٩٨٧م.

١٢ - غلام علی چودهری (ڈاکٹر): من اے میر امم داد از تو خواهم، اقبال اکادمی پاکستان، لاهور ١٩٨٩م.

١٣ - محمد إقبال: کلیات إقبال (أردو)، لاهور، باکستان ١٩٨٨.

علم الاقتصاد، لاهور ١٩٩١.

مطالعه بیدل فکر برگساں کی روشنی میں، ترجمه تحسین فراقي (دکتور)، یونی ورسل بکس، لاهور، باکستان ١٩٨٨م.

١٤ - محمد باقر (ڈاکٹر): احوال وآثار اقبال، اقبال اکادمی پاکستان، لاهور ١٩٨١م.

١٥ - محمد علی صدیقی (ڈاکٹر): تلاش اقبال، پاکستان سٹڈی سنٹر، کراچی، پاکستان ٢٠٠٢م.

١٦ - محمد وسیم انجم: مطالعه اقبالیات، راولپندي، باکستان ٢٠٠١.

١٧ - نجیب جمال (دکتور): إقبال ہمارا، بیکن بکس، ملتان، پاکستان ٢٠١١م.

١٨ - وحید عشرت (دکتور): اقبال فلسفیانه تناظر میں، اداره مطبوعات سلیماني، لاهور، باکستان ٢٠٠٩م.

١٩ - وحید قریشي (دکتور)، مجلة إقباليات العربية، العدد الثاني والثالث ١٩٩٣م/١٩٩٤م، أكاديمية إقبال الباكستانية، لاهور.